التسليم الرسولي للقديس بولس الرسول كما شرحه القديس أثناسيوس الرسولي

دراسة موجزة للمقالات ضد الأريوسيين

(٣)

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

www.coptology.org

الأريوسية والأرثوذكسية

في المقالة الثالثة ضد الأريوسيين

تعد المقالة الثالثة عُصارة ما كُتب في المقالتين الأولى والثانية، بالإضافة إلى ذات الوضوح ودقة التعبير والتمسك الشديد بنفس ألفاظ أو كلمات الأسفار.

العلاقة الخاصة بين الآب والابن:

قال الرب: "أنا في الآب والآب فيَّ" (يوحنا ١٤: ١٠)، فكيف يمكن لأي عاقل أن يبني هرطقة على هذه العبارة؟ ولذلك السبب، انعدام الإدراك، يصف الرسولي الأريوسيين بأنهم "مجانين"، وأنهم تحت تأثير "سُم الحية" الشيطان "لا يفهمون ما يقرأونه" (٣: ١).

ويسأل الرسولي ما هو المعنى الحقيقي لهذه الكلمات؟

١- يواجه الظن والخيال الإنساني؛ لأن الخيال البشري يمكنه أن يتصور كما يقول الرسولي "أن الواحد، أي الآب يفرغ ذاته في الآخر، أي الابن، ليملأ الواحد منهما الآخر كما يحدث في الأواني الفارغة. حتى أن الابن يملأ فراغ الآب والآب فراغ الابن، وكأن كلا منهما ليس تاماً ولا كاملاً في حد ذاته، لأن هذه هي خاصية الأجساد (٣: ١)، ولذلك فإن ملء اللاهوت يمنع هذا التصور؛ لأن الملء خاص بالبشر عندما يحل الله فيهم ويكمِّل "غاية وجودهم" (٣: ١). أما الابن فهو "قوة الله وحكمة الله" (٣: ١). "المخلوقات تشترك في الابن، وتتقدس في الروح، أما الابن نفسه، فهو ليس ابناً بالشركة، بل هو الابن لأنه مولود من ذات الآب" (٣: ١). وبهذه الكلمات القاطعة هدم الرسولي

الظن والخيال. ويجب علينا هنا أن نميّز بين شركتنا في الآب والابن والروح، فهي ليست شركة تعود إلى أننا من ذات الطبيعة، أي لنا ذات الحياة، بل لنا الحياة المخلوقة، أما عن الابن فنحن به نحيا ونتحرك ونوجد، لأن الابن من ينبوع الحياة، فهو الحياة الذي به نحيا وتبقى كل الأشياء كائنة لأن الحياة تأتي من مصدر آخر، لكن الابن هو الذي يعطي الحياة لكل المخلوقات" (٣: ١).

٢- الحلول المتبادل هو من المحبة الواحدة للثالوث، هو حلول الآب في الابن والابن في الآب حسب قول الرب نفسه: "الآب الحال في هو يعمل الأعمال التي أعملها"، وحسب كلمات الرسولي: "كيان الابن هو من جوهر الآب ذاته" (٣: ٣). والمثال الذي يقدمه الرسولي هو: "مثل شعاع من النور أو النهر من الينبوع" (٣: ٣). هذا ضروري لنا لأنه خاصٌّ باستعلان الثالوث لنا، لأن "وحدة الألوهة" المستعلَنة في المسيح تجعل "لاهوت الابن هو لاهوت الآب .. وما يقال عن الآب يقال هو نفسه عن الابن" (٣: ٤).

٣- ويقدم الرسولي التسليم الرسولي عن الابن له المجد:

"الابن ضابط الكل

- ربٌّ واحد

- النور

- الغافر الخطايا

- وحسب كلمات الرب نفسه: "كل ما للآب هو لي" (يوحنا ١٩: ١٥) وأيضاً "كل ما لي فهو لك" (٣: ٤). بهذا نعرف الله المستعلَن في حياة الابن المتجسد. وحسب كلمات الرب نفسه، وكما كتب الرسولي: "أنا في الآب والآب في" (يوحنا ١٠: ٣).

ملء أُلوهية الابن وفداء البشر:

"الابن إلهٌ كامل .. لم يحسب المساواة لله غنيمة" (٣: ٦). هو ليس جزء، بل "ملء الوهية الآب"، وهذا يعني "أنا في الآب، لذلك كان المسيح مصالحاً العالم لنفسه (٢كو ٥: ١٩)، ولأن الابن من جوهر الآب، تمت به مصالحة الخليقة مع الله، وهكذا، فالأعمال التي عملها الابن هي أعمال الآب، لأن الابن هو صورة لاهوت الآب .. ولذا فمن ينظر إلى الابن يرى الآب" (٣: ١٦).

هذا يُسقط تماماً تعليم العصر الوسيط عن "البديل المعاقب" من الآب.

أما الجانب الاختباري، فهو كما كتب الرسولي: "حينما ندعو الله أبا، فنحن نقصد في ذات الوقت "وجود الابن في الآب. .. ولذلك، فالسجود والإكرام اللذان يقدمان إلى الآب في الابن وبه (أي بالابن) لأنهما واحد" (٣: ٦).

الإله الحقيقي وإله الأريوسية:

قال الرب يسوع: "أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يو ١٧: ٣). عندما أخذت الأريوسية هذه الكلمات التي قصد بها الرب "استبعاد الآلهة الكاذبة" (٣: ٧)، كانت بشارة الانجيل هي أن نعرف الإله الحقيقي لا الآلهة التي اخترعها البشر التي لا كيان لها (٣: ٨).

قال الابن إنه الحق (يوحنا ١٤: ٦)، فهو ليس مخلوقاً، وهو خالق، وليس مثل آلهة الأساطير الوثنية، فهو الإله الحق. أما إله الأريوسية فهو موجود في عقل الأريوسيين فقط.

المسيح الرب، ونحن الذين نؤمن به:

نحن صورة الله لأن المسيح فينا: "رغم أننا خُلقنا حسب الصورة ودُعينا صورة الله ومجده، فذلك ليس من ذواتنا، بل بسبب صورة الله ومجده الحقيقي الساكن فينا، وهو كلمته، الذي صار جسداً لأجلنا .. لكي ننال نحن هذه التسمية" (٣: ١٠). "ولكن هذا لا يعني أننا مثل الابن الوحيد؛ لأننا بالابن "ننال نعمة واحدة من الآب في الابن" (٣: ١١). لا توجد نعمة مزدوجة تعطى من مصدرين .. بل ما يُعطى بالابن هو ضمان النعمة" (٣: ١٢)، "بل لا تستطيع المخلوقات أن تشترك مع الله في إعطاء النعمة" (٣: ١٢)؛ لأن للنعمة مصدر واحد وهو الثالوث"، "ورغم ان الابن هو الذي يهب النعمة فالآب هو الذي يعطيها بالابن في الابن" (٣: ١٣).

سقوط الشيطان:

وصل جنون الأريوسيين إلى القول بأنهم واحد مع الآب (٣: ١٧)، ولكن هنا يذكرنا الرسولي أن هذه "وقاحة وجنون شيطاني" (٣: ١٧)، وأن الأريوسيين يقولون مثل الشيطان: "نصعد إلى السماء ونصير مثل العلي، لأن ما يُعطى للإنسان يخطئ الأريوسيون عندما يجعلون عطاء النعمة مساوياً لألوهية المعطي" (٣: ١٧).

ولذلك، نحن أبناء الله، ولكن هذا لا يجعلنا مساويين للابن الحقيقي الذي هو من طبيعة الآب (٣: ١٧). ومن يخدع نفسه ويظن -كما تصوَّر الأريوسيون- أنهم سيصيرون مثل الابن في الآب والآب في الابن، هؤلاء لا يتعلمون من سقوط الشيطان أبيهم الحقيقي الذي سقط بسبب هذا الخيال" (٣: ١٧).

الرسولي والإتهامات المعاصرة:

حشدت الكراهية والبغضة خيالات لا وجود لها إلا في عقل كاتبها وناشرها. لم

يكتب ولم يقل أحد إننا نصـــير مثل الله، لنا وجود في كل مكان (قدرات إلهية مثل الله)، إقامة الموتى ... الخ. هذه فزاعة الســـنوات الماضـــية التي بدأت تنحســـر بعد أن ظهرت أكاذيب المدعين "لحماة الكراهية".

تعد الفقرات ١٦ – ٢٥ من المقالة الثالثة، وهي رد الرســـولي على الأريوســـيين، واتهام الأريوسيين بأنهم يشاركون الوثنيين في عبادة مخلوق (٣: ١٦)، ويبدو الاتهام غريباً، ولكن تأمل هذه الفقرة وما بعدها تجدها تكشف خداع الأريوسية، وهي في عبارات تشبه ما يُكتب في صحافة اليوم: "نحن لا نقول باثنين غير مخلوقين" (٣: ١٦)، وكأن الأريوسية كما تبدو هي دعوة لوحدانية الله. والخداع كما كتب الرسـولي أن الإله الواحد هو "واحد وكلمته .. لأن الكلمة هو الله وهو وحده صورة الآب" (٣: ١٦).

الأريوسية واستعلان الثالوث:

عادوا إلى هدم الإيمان في عبارة تبدو بريئة: "كما أن الابن والآب واحد، وكما أن الآب هو في الابن، والابن هو في الآب، هكذا أيضـــاً نكون نحن واحداً فيه" (٣: ١٧)، ويبدأ رد الرسولي بكلمات الرب في (يوحنا ١٧: ١١) "ليكونوا واحداً كما نحن .. ليكون الجميع واحداً فينا .. كما أننا نحن واحد .." (يوحنا ١٧: ٢٠-٢٢) هل هذه الكلمات تعني –كما سأل أثناسيوس نفسه– أننا في ذات جوهر الآب مثل الابن (٣: ١٧)؟ وهل "المماثلة تســتدعي المســاواة" (٣: ١٨)؟ لكن الكلمة "وحيد" وتقديم المثال للوحدة، لا يعني الانتماء إلى ذات الطبيعة الإلهية. ولم يقل المخلص أننا نصـير مثل الآب (٣: ١٩)، فالخلق من العدم يمنع علينا أن نكون من ذات جوهر الآب؛ لأن النعمة هي حســب "دعوة الله" (٣: ١٩)، لا لكي نصـير مســاويين، بل لكي "توزَّع على الآخرين الخيرات الموهوبة لنا من الله بالنعمة" (٣: ١٩). فالتشـبُّه بالله لا يلغي الفوارق بين الخالق والمخلوق:

١- "نحن به (المسيح) نصير أبناء بالتبني (بالنعمة مشتركين في روحه) (٣: ١٩)

ولذلك نحن مثل الله في حياة الفضيلة.

٢- لن نصير "كما هو"، أي المسيح، بل "متخذين إياه لنا مثالاً لنا .. نصير واحداً في الوفاق ووحدة الروح" (٣: ٢٠) مثل اختبار الكنيسة في (أعمال ٤: ٤) وهو القلب الواحد الذي نطلبه في القداس الغريغوري: "القلب الواحد الذي للمحبة فليتأصل فينا"، وهي عبارة قاطعة: "نحن لن نصير واحداً مثلما الآب هو في الابن" (٣: ٢٠). التماثل هو وحدة الطبيعة .. لأن كل البشر قد جاءوا من واحد .. مثال الوحدة الطبيعة للابن مع الآب" (٣: ٢٠) هي "وحدة لا انفصال فيها" (٣: ٢٠) "لكن لن نصير مساويين". وهكذا يمكننا القول بأن الثالوث القدوس استعلن ثلاثة في واحد لكي يجتمع البشر حول المثال الحقيقي للوحدة (٣: ٢١).

الثالوث مثالٌ لنا:

كتب الرسولي: "إننا نصير واحداً بعضنا مع بعض بالنية (الإرادة) الصالحة واضعين أمامنا مثال الوحدة الطبيعية للابن مع الآب. لأنه كما علَّمنا الوداعة بنفسه قائلاً: "تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب" (متى ١١: ٢٩)، لا لكي نصير مساويين له، لأن هذا غير ممكن.." (٣: ٢٠).

هل هذا مجرد تشبُّه بالمثال؟

لقد حارب البعض اتحادنا بالثالوث على أنه مجرد تشبُّهٌ أخلاقي يقوم على العمل الإرادي للإنسان. لكن الرسولي يشرح التعليم الرسولي مؤكِّداً في الفقرة (٢١) "نحن كائنين في الابن وبواسطته كائنين في الآب. وبكلامه هذا (الرب يسوع) قصد هذا فقط: هكذا يمكن أن يصيروا واحداً فيما بينهم بتمثلهم بوحدتنا، كما أننا واحد بالطبيعة والحق" (٣: ١١). المثال الذي يتم اختياره في الحياة الأرثوذكسية، صار حقيقة لأن الرسولي يشرح بدقة: "الكلمة قد جاء لكي يكون فينا لأنه لبس جسدنا. وبقوله "أنت أيها الآب فيَّ

فهو يعني لأني أنا كلمتك وحيث أنك أنت فيَّ بسبب كوني كلمتك، أنا فيهم بسبب الجسد، ومنك (الآب) يتم خلاص البشر فيَّ لذلك أسأل أن يصيروا هم أيضاً واحداً بسبب الجسد الذي فيَّ وبحسب كماله (الجسد) لكي يصيروا هم أيضاً كاملين (بالقيامة والخلود)، إذ يكون لهم وحدة مع الجسد، لأنهم قد صاروا واحداً في هذا الجسد، فإنهم كما لو كانوا محمولين فيَّ، يصيرون جميعاً جسداً واحداً وروحاً واحداً (أفسس ٤: ٤) لكي ينمو الجميع إلى إنسان كامل (أفسس ٤: ١٣) لأننا جميعاً باشتراكنا نصير جسداً واحداً، لأننا نشترك في الرب الواحد في أنفسنا .." (٣: ٢٢).

الإنسان الكامل هو الرب عديم الموت الحي إلى الأبد، ونحن لا نتحول بالإرادة والتشبُّه، بل بالشركة وحلول الابن فينا، ونحن واحد لا يفصلنا عن الآب مسافة، فلا مسافة ولا مكان يفصل الإنسان عن الله، ولكن اختلاف الطبيعة المخلوقة، يمنع تحول ما خُلق من العدم إلى أن يكون كائناً بقوة الطبيعة.

الكينونة الجديدة بالنعمة:

كتب الرسولي: "كل المخلوقات هي بعيدة عن الله؛ لأن كما أن الآب في الابن والابن في الآب، فإن استعمال الأداة: "كما" لا يعني التطابق ولا المساواة، ولكن يعني التشبُّه بمثال نراه بقصد واضح (وهو الوحدة)" (٣: ٢٢).

وقدَّم الرسولي تشبيهاً لشرح الأداة: "كما"، وهو ما ذكره الرب نفسه عن يونان النبي لأنه "كما" كان يونان في بطن الحوت .. (متى ٢٢: ٤)، والفرق بين يونان والرب يسوع واضح، فلم يكن الحوت ولا الموت هو الجحيم الذي نزل إليه الرب؛ لأن نزول الرب إلى الجحيم هو حقيقة موازية، لأننا والابن الوحيد لنا وحدة متوازية، لأن اختلاف الطبيعة يظل قائماً، وما يُعطى في النعمة لا يتحول إلى طبيعة، أي صفة طبيعية" (٣: ٢٣).

التحول بالنعمة لا يلغي الطبيعة الإنسانية:

جاء الرب يســـوع لكي يكمل خلقنا بالخلود والحياة الأبدية، أي بالقيامة من الأموات. وعلى لسان الرب يسوع يكتب الرسولي: "لو لم قد جئت ولبست جسدهم، لما استطاع أحد منهم أن يصير كاملاً، بل لظل الجميع في الفساد" (٣: ٢٣)، فكيف تتم هذه الوحدة؟ "كما أعطيتني أن ألبس هذا الجسد، فأعط روحك لهم، لكي يصيروا هم أيضـــاً بالروح واحداً .. لأنه من أين يأتيهم الكمال لو لم أكن أنا كلمتك قد أخذت جسدهم وصرت إنساناً، وقد أكملت العمل الذي أعطيتني إياه أيها الآب إلى النهاية.. لأن البشـــر قد افتُدُوا من الخطية ولا يبقون أمواتاً بعد، بل إذ يتألهون، فإنهم بنظهرهم إليَّ يصير لهم رباط المحبة بينهم" (٣: ٢٣). وهنا نسمع صوت التسبحة السنوية:

أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له

أخذ جسدنا وأعطانا روحه القدوس.

لأن الرسولي يؤكد لنا "نحن في الله والله فينا" (٣: ٢٤). ويعود أثناسيوس دائماً إلى ذكر اختلاف الطبيعة مؤكداً أن جنون الأريوسيين يجعلهم مثل الشيطان الذي أراد أن يصير مثل الله، وهم يريدون أن يصيروا كالابن. ومن أراد أن يسير في هذا الاتجاه، سوف يسمع ما قيل عن الشيطان: "أنت إنسان لا إله" (حزقيال ٢٨: ٢)". ويحذر الرسولي الكل: "لا تقس نفسك بإنسان غني وأنت فقير (أمثال ٢٣: ٤ س). وسقوط الشيطان الذي أراد به الراحل الكريم قداسة البابا شنودة الثالث أن ينكر شركتنا في الطبيعة الإلهية لأننا نتحول إلى ذات الحياة الإلهية لنا وجود في كل مكان .. إلى آخر الاتهامات، يجيب عليه الرسولي إن التأله ليس منا، بل هو كما يكتب يوحنا "بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه (١يوحنا ٤: ١٣)، ولذلك، فبسبب نعمة الروح الذي أُعطى لنا، نصير نحن فيه وهو فينا. وحيث أن روح الله فينا لذلك وبواسطة سكناه فينا وبسبب حصولنا على الروح، نحسب أننا في الله وهكذا يكون الله فينا.

مقارنة لا تجوز في الأرثوذكسية:

في عبارة أنكرت الاستعلان الإلهي، كتب قداسة البابا شنودة إن إنكار أُلوهية الابن هو "إما اعتبار الابن مخلوقاً أو اعتبار الإنسان إلهاً"، وهي عبارة صادمة تضرب تنازل وإخلاء الابن وتجسده (فيلبي ٢: ٦)، وتضرب أيضاً سُكنى الروح والتبني، ليس لأن الإنسان ارتفع، بل لأن الابن "نزل من السماء وتجسد" حسب اعتراف الآباء في ٣٢٥ مجمع نيقية.

وأخيراً:

"نحن لا نصير في الاب مثلما الابن كائن في الآب، لأن الابن ليس كائناً في الآب بمجرد اشتراكه في الروح، ولا هو ينال الروح، بل بالحري هو ذاته الذي يهب الروح للجميع والروح لا يوحِّد الكلمة مع الآب، بل بالحري الروح يأخذ من الكلمة .. أما نحن فإننا بدون الروح القدس، نصبح غرباء عن الله ... وجودنا في الآب هو ليس منا (أي من خصائص طبعنا المخلوق)، بل هو خاصٌّ بالروح الكائن فينا، والذي يسكن فينا ونحن نحتفظ به في داخلنا بالاعتراف كما قال يوحنا من اعترف أن يسوع ابن الله، فالله يسكن فيه وهو في الله (١يو ٤: ١٥). أننا لن نصير مثل الكلمة أبداً، ولا الكلمة سيصير مثلنا" (٣: ٢٤).

ما ينكره الرسولي هو تحول الإنسان إلى إله، أي تحول الطبيعة، بينما نحن في الله بسبب عطية الروح القدس، وهو الوضع الخاص بالإنسان، أما ما يخص الابن، فهو شركة الثالوث في الحياة أو الجوهر الإلهي الواحد.

بدون الروح القدس نحن غرباء عن الله:

لعل أقوى ما كُتب عن سكنى روح الله فينا ورد في الفقرة (٣: ٢٤) "وجودنا في

الآب ليس منا، بل هو خاصٌّ بالروح القدس الكائن فينا والذي يسكن فينا، ونحن نحتفظ (بالروح القدس) به في داخلنا عن طريق الاعتراف كما يقول يوحنا: "مَن اعترف أن يسوع هو ابن الله، فالله يسكن فيه وهو في الله". لقد طلب الرب يسوع من الآب أن يعطي الروح القدس بواسطته للذين يؤمنون به (يسوع)، الذي به نصير في الله –كما كتب يوحنا– وبهذا نكون متحدين فيه" (٣: ٢٥).

"الاتحاد بالثالوث"، الموضوع الغائب من التعليم المعاصر:

إلى الأب متى المسكين يعود الفضل في بعث الوعي الأرثوذكسي الحقيقي عن اتحادنا بالثالوث القدوس في الابن وبالروح القدس. وعندما نشرت أول ترجمة عربية لرسائل القديس أثناسيوس إلى سرابيون (مكتبة مدارس أحد الجيزة بجهد أمين المكتبة الأستاذ جرجس صبحي)، بُعث الوعي من جديد في مقالات العنصرة (الباركليت للأب متى المسكين)، وجاء الهجوم العشوائي، وكان هناك وقت لم يجسر فيه أحد في الإكليريكية أن يتكلم عن سكنى الروح القدس فينا طوال رئاسة أسقف التعليم.

ولكن لماذا نغترب عن الثالوث، إذا أنكرنا سكنى الروح القدس؟

حسب كلمات الرسولي: "عندما نناله يصير لنا روح الكلمة (الابن) الذي هو في الآب" (٣: ٢٥). وروح الابن (غلا ٤: ٤–٦) هو روح التبني، فإذا أنكرنا سكنى الروح فينا، نتغرب عن التبني، ولن نتمجد حسب كلمات الرسولي: "بسبب الروح سوف نتمجد نحن أيضاً ونصير واحداً في الكلمة، ومن خلاله في الآب" (٣: ٢٥).

هذا ما نفقده، وهو المصير الأبدي لأولاد الله.

الروح في الكلمة بسبب وحدة الجوهر، أو حسب تعبير الرسولي "هو بالطبيعة في الآب" (٣: ٢٥)، ولكن نحن ننال هذه النعمة بلا ندامة من الله (رو ١١: ٢٩).

لسنا في الثالوث من ذواتنا:

هكذا كتب الرسولي: "الروح كائنٌ في الله، ولسنا نحن (الكائنين) في الله بذواتنا"، ويكمل الرسولي: "إننا نصير أبناء وآلهة بسبب الكلمة الذي فينا، هكذا أيضاً سنصير في الابن وفي الآب، بسبب وجود الروح القدس فينا نحن، وهو الروح الذي يكون في الكلمة الكائن في الآب" (٣: ٢٥).

الذين سقطوا من النعمة:

"حينما يسقط إنسان من الروح بسبب شرٍّ ما، فإنه يتوب ويرجع عن سقطته، فالنعمة تظل دائمة بلا ندامة في أولئك الذين يريدونها" (٣: ٢٥). ويقدِّم الرسول الملك شاول الذي فارقه روح الرب وبغته روح رديء (١صموئيل ١٦: ١٤).

أساس التدبير

نقل الأريوسيون ما قيل عن تجسد الله الكلمة إلى ألوهيته، بغرض إنكار ألوهية يسوع المسيح، وحشد القديس أثناسيوس كلمات العهد الجديد التي اختارها الأريوسيون في الفقرة (٢٦)، وهي معروفة لكل القراء، ولعل أقوى عبارات الرب نفسه هي صلاته في البستان، ثم "إلهي إلهي لماذا تركتني" (مت ٢٧: ٤٦).

وحشد الرسولي أسئلة الأريوسية:

+ كيف يجهل الابن اليوم والساعة (مرقس ١٣: ٣٢).

+ لو كان إلهاً حقيقياً من إله (الآب)، فكيف يمكن أن يصير إنساناً.

+ لو كان ابن الله، لَمَا كان قد قَبِل الصليب.

+ كيف يمكن أن يكون الذي ينام ويبكي ويطلب أن يعرف كإنسان، أن يكون هو الكلمة وهو الله؟ (٣: ٢٧).

والرسولي يؤكد أن الأريوسية هي ضلال اليهودية، بل هي ذات فكر يهوذا الاسخريوطي (٣: ٢٨)؛ لأنهم مثل اليهود أنكروا "حضور المخلص في الجسد" (٣: ٢٨).

ويسأل الرسولي الأريوسيين أما أن تتمسكوا باسم المسيح وإلا تجحدوا الايمان، لأن الايمان هو بإله متجسد (٣: ٢٨).

قاعدة الايمان:

١- البحث عن الهدف في كلمات الوحي.

٢- الإعلان المزدوج عن المخلص، فهو أزلياً ابن الله، وفي الزمان تجسد (٣: ٢٩).

٣- الكلمة لم يأتِ إلى بشرٍ كما كان قبل تجسده (٣: ٣٠)، بل تجسد.

٤- صار جسداً هي عبارة تدعو الإنسان بلفظ جسد (يوئيل ٣: ٤).

٥- لقد قدَّس الكلمة القديسين الذين قبلوه (٣: ٣١)، ولكنه صار جسداً عندما تجسد. "ولكن حينما جاء بيننا من مريم في نهاية الأزمنة لكي يبطل الخطية، لأن الآب سُر أن يرسل ابنه الذاتي مولوداً تحت الشريعة (غلا ٤: ٤)، فحل في الجسد (كولوسي ٢: ٢٩) .. ولذلك قيل عن خواص الجسد إنها خاصة به مثل أن يجوع، وأن يعطش .. كان اللاهوت في الجسد لأن الجسد كان جسد الله" (٣: ٣١). ولم يكن التجسد مجرد فكرة، بل حقيقة عاشها الرب "لكي يفتدينا من أوجاعنا ونمتلئ من بر الكلمة" (٣: ٣١). "وهكذا صارت خواص الجسد خاصة به" (٣: ٣٢).

جسد الله وتألُّه الإنسان في المسيح:

آلام الرب كانت لشفاء وتجديد الكيان الإنساني. كل أعماله تمت بواسطة الجسد، ولكنه شفى حماة بطرس بقوته الإلهية، وكذلك المولود الأعمى وأيضاً لعازر دعاه كإنسان بصوت بشري، ولكنه إلهياً كإله، أقام لعازر من الأموات .. لأنه كان قد اتخذ لنفسه جسداً حقيقياً وليس خيالياً" (٣: ٣٢). ما هو إلهي وما هي إنساني لا يمكن فصلهما لأن الفاعل هو الرب الواحد، لأن الجسد هو جسد الكلمة (٣: ٣٢).

يسأل الرسولي: "لو كانت أعمال أُلوهية الكلمة لم تحدث بالجسد، **لَمَا كان**

الإنسان قد تألَّه، وأيضاً لو أن الضعفات الخاصة بالجسد لم تُنسب للكلمة، لتعذر تحرر الإنسان منها .. وظلت الخطية وظل الفساد باقيان في الإنسان، كما كان الحال مع الجنس البشري قبله (قبل التجسد) (٣: ٣٣).

القديس اثناسيوس لم يُعلِّم بوراثة خطية آدم:

كتب الرسولي: "هناك أمثلة لكثيرين قد تقدَّسوا وتطهروا من كل خطية مثل أرميا الذي تقدس من الرحم (أر ١: ٥) ويوحنا الذي كان في بطن أمه جنيناً في البطن وارتكض بابتهاج عند سماع صوت **مريم والدة الإله** (لوقا ١: ٤٤)، ومع ذلك فقد ملك الموت من آدم إلى موسى (قبل الشريعة)، وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم (رو ٥: ١٤)، وهكذا ظلَّ البشرُ مائتين وقابلين للفساد كما كانوا ومعرضين للأوجاع الخاصة، أما الآن؛ لأن الكلمة قد صار إنساناً وجعل الأمور الخاصة بالجسد خاصة به، فلم تعد تلك الأمور تسود على الجسد بسبب الكلمة الذي جاء في الجسد، فقد أُبيدت الأوجاع بواسطته، ومنذ ذلك الحين فصاعداً لم يبقَ البشر بعد خطاةً وأمواتاً بحسب أوجاعهم، بل قد قاموا بقوة الكلمة، وصاروا غير مائتين وغير فاسدين .." (٣: ٣٣).

هكذا يجب أن نفهم أن التألُّه هو أبادة الخطية، وما تركته الخطية وهو الموت، ثم القيامة لعدم فساد.

نقل الابنُ بداية التكوين الإنساني إلى كيانه:

"وُلِدَ الجسد **من مريم والدة الإله** لأن الكلمة ذاته يُقال إنه قد ولد .. لكي ينقل بداية تكويننا إلى ذاته، ولكي لا نرجع بعد ذلك فيما بعد كمجرد تراب أُخذ من تراب الأرض، ولكن بارتباطنا بالكلمة الذي من السماء، فإننا نُحمَل إلى السموات بواسطته .. نقل أوجاع الجسد الأخرى لكي يكون لنا شركة في الحياة الأبدية .. لأننا لم نعد نموت بحسب بدايتنا الأولى في آدم .. نحن نقوم من الأرض، ولعنة الخطية قد أُبطلت

بســـبب ذاك الكائن فينا، وقد صـــار لعنةً لأجلنا، وكما أننا جميعاً من الأرض وفي آدم نموت، هكذا نحن إذ نولد من فوق من الماء والروح، فإننا في المسيح نُحيا جميعاً .. الجسد لم يعد أرضياً بل **يصير ناطقاً كالكلمة**" (٣: ٣٣). والعبارة الأخيرة "يصير ناطقاً بحسب الأصل اليوناني: **λογωθειστης της σαρκος** النطق ليس الكلام بالفم فقط، بل هو اســتعلان ما هو في الكيان الإنســاني. هنا ما هو مُســتعلن هو الطبيعة الســماوية غير الفاسدة التي غلبت الفساد والموت، وهو المدوَّن في نفس الفقرة: "الجسد لم يعد أرضياً". طبعاً تألُّه ناسوت الرب موضوعٌ ظاهر بوضوح في سر الإفخارستيا؛ لأننا نتناول الجسد الممجَّد، وهو موضوعٌ شَغَلَ مساحةً أكبر في الرسالة إلى ادلفوس؛ لأن تجديد الناسوت لم يتم بشـــكل ميكانيكي بمجرد الاتحاد، بل جاء الكلمة وأخذ ما هو مخلوق "لكي يقدس الجسد ويعطي له الحياة" (ادلفوس: ٨). وفي الرسالة إلى مكسيموس كتب الرسولي: "نحن لا نتألَّه بالشركة في الجسد لإنسان مثلنا، وإنما بتناول جسد الكلمة نفسه" (فقرة: ٣). وفي الرسالة إلى ابكتيوس: ٦: "تألم جسد الكلمة لأن سكنى (حلول) الكلمة في الجسد تُنسَب إليه لكي نستطيع أن نشترك في الطبيعة الإلهية للكلمة".

آلام وموت الرب حسب التدبير:

عندما كتب الرسولي أن كلمة الجسد تُطلق على الإنسان كله (٣: ٣٠)، فإن كل شرح عن الجسد يعني أنه خاصٌّ "بالواحد" (٣: ٣٥)، وتخلي الرب الإرادي (فيلبي ٢: ٦) الذي عبَّر عنه الرب بكلمات قاطعة بأنه "لا يعرف"، وحســـب كلمات القديس أثناسيوس: "الجسد (الإنسان) هو الذي يجهل" (٣: ٣٨)، وأنه بسبب الجسد، أي استعلان تجسده، وتأكيد حقيقة إنسانيته (٣: ٣٩)، كان الجسد، أي الإنسان هو المحتاج إلى المجد والتألُّه (٣: ٣٩)، أي إلى ما هو ناقص هو في الإنسان (٣: ٤٣). وكان الرب يسأل بشكل إنساني؛ لأنه كان يحيا ويُعلم البشر ويسأل جسدياً (كإنسان) بينما كان يعرف إلهياً" (٣: ٤٦). هذا ليس انشـطاراً في جسـد الرب الواحد، بل عند كمال التدبير لم يعد الرب يتحدث بشـكل إنسـاني "لم يعد يليق به أن يجيب حسـب الجسـد

عندما كان صاعداً إلى السموات، بل أن يُعلِّم بطريقة إلهية، فقال: "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه .." (٣: ٤٨).

الاتحاد بالناسوت جعل الناسوت يحيا حياةً إنسانيةً:

في الفقرة (٣: ٥٢) عندما يذكر الرسولي "تقدُّم الجسد"، وبشكل دقيق عن نمو يسوع في القامة (لوقا ٢: ٥١) يؤكِّد المعلم أن التقدم كان في القامة، وهو خاصٌّ بالناسوت، ثم يضع أحد أساسات التدبير:

"ففي تقدمه (في القامة) كان يزداد ظهور اللاهوت فيه لأولئك الذين رأوه، وكلما كان اللاهوت يُستعلَن أكثر فأكثر كلما ازدادت نعمته كإنسان أمام كل الناس، فهو كطفلٍ حُمِل إلى الهيكل، وحينما صار صبياً بقى هناك في الهيكل .. كان جسده ينمو شيئاً فشيئاً، والكلمة كان يُظهر نفسه في الجسد" (٣: ٥٢).

هكذا يجب أن نفهم أن الاتحاد لم يكن:

١- سيطرةً واستبداداً، بل اتحاد محبة لمحب البشر قبل الإنسان كما هو.

٢- التقدم للناسوت "جعله يرتفع فوق الطبيعة الإنسانية ويتأله ويصير ظاهراً للجميع كأداة الحكمة لأجل عمل اللاهوت واستعلانه" (٣: ٥٣). مات مصلوباً ولكن "ارتعبوا منه بوابو الجميع" (٣: ٥٤ راجع ذكصولوجية عيد القيامة في التسبحة السنوية) والأهم هو هذه الكلمات: "الإنسان لا يموت بسلطانه الخاص، بل بالخضوع إلى الطبيعة (الإنسانية)، وذلك رغم إرادة (الإنسان)، أما الرب، فلأنه هو نفسه غير مائت، ولكن أخذ جسداً مائتاً، فله السلطان كإله أن يفصل النفس عن الجسد، وأن يعيدها أيضاً حينما يريد (مزمور ١٦: ١٠) .. أنه أمر مدهش حقاً أن يكون الكلمة في الجسد المتألم .. ولم يمنع أولئك الذين تآمروا عليه ولا انتقم من أولئك الذين صلبوه .. لكن إذ يتألم في الجسد يجعل الجسد من الآن غير متألم وغير مائت" (٣: ٥٧، ٥٨).

ذكصولوجية للقديس أثناسيوس الرسولي

يا صخرة الأرثوذكسية

الرسولي حقاً بعد الرسل

يا منارة الإسكندرية

فخر الديار المصرية

النفي والطرد

ومحاولات قتلك

لم تمنعك من الشهادة

يا صوت الحق في نيقية

الشاهد في ظلمة العالم

لنور الرب يسوع

الإله المتجسد

صلِّ لأجلنا

د. جورج حبيب بباوي